ريادة في الإدارة ومدرسة في الكياسة والنبل والوفاء

د. دحام بن إسماعيل العاني

تعرفت على الدكتور محمد بن أحمد الرشيد عام ١٤٠١هـ منذ اليوم الأول لقدومي للمملكة العربية السعودية.

ففي عام ١٤٠١هـ وبعد أن اتُخذ قرار توسيع نشاط وجهود مكتب التربية العربي لدول الخليج ليشمل العلوم أيضاً إضافة للتربية والثقافة، بحث الدكتور الرشيد عن مختص للعمل معه في المكتب في هذا المجال، واستعان بمعارفه في منظمة اليونسكو في باريس، وقد صادف في تلك السنة أن أكرمني الله بتقدير خاص علمي في فرنسا، وعلم بهذا التقدير بعض المسؤولين في اليونسكو ممن استعان بهم الدكتور الرشيد لترشيح أحد العلميين للعمل معه، فكان أن شرفوني بهذا الترشيح. وبناءً عليه أرسل الدكتور الرشيد أحد مساعديه لمقابلتي في باريس، ولرفع توصيته حول إمكاناتي لتحقيق أهداف المكتب في قطاع العلوم. وفعلاً تم ذلك، وأكرمني الله بالاتفاق مع المكتب، وقدمت للرياض في أواخر عام ١٤٠١هـ. وفي اليوم الثاني لقدومي صعدت لمكتب د.الرشيد للتعرف عليه واستقبلني بابتسامته وبلباقته التي لا أخفي إعجابي بها ودهشتي لها. ذلك أن ما كان يطرق مسامعي من كثير من الناس: أن طابع الصرامة المجردة من المجاملة تغلب على أهالي نجد. وكنت مهيأً لهذا اللقاء بذلك الانطباع. ولهذا فوجئت أن هذا الرجل من ألطف وألبق وأكيس من قابلت في حياتي. ولا يتسع المجال لتدوين ذلك الحوار لأول لقاء لي معه، ولكنني بعد انتهائه وخروجي من مكتبه شعرت بارتياح بالغ، وحمدت الله تعالى على ما هداني إلى عمله، حيث عُرِضَتْ عليَّ في تلك المدة ثلاثة عروض عمل: أحدها مكتب التربية العربي لدول الخليج واستخرت الله وسألت بعض معارف الدكتور الرشيد فشجعوني على العمل معه، لدرايتهم بطموحاته الكبيرة في كل عمل يوكل إليه، ولتميز علاقته بمن يعمل معه، ووصفوه لي بأنه رجل عروبي صادق.

مستشار نائب رئيس مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية لمعاهد البحوث.

وأتوقف عند كلمة عروبي صادق. نعم كان يحرص الدكتور الرشيد وبحكم عمله على رأس منظمة إقليمية ذات طابع عربي: أن يؤكد لنا أن جغرافية المكتب في دائرة الخليج العربي، إلا أن حدود العمل هو الوطن العربي.

ولهذا كان يحرص في توجيهاته عند تنفيذ أي مشروع على تنسيق العمل مع المنظمات العربية النظيرة في أعمالها مع المكتب. وفعلاً كانت البرامج المنفذة تتم بتنسيق تام وبتعاون كامل مع نظيراتها العربيات.

أذكر هنا أحد البرامج التربوية الرائدة التي تبناها الرشيد في المكتب، وهي معسكر الحج لطلاب جامعات الخليج العربي. وقد عملت مساعداً معه في هذا البرنامج الروحاني الرائع والناجح الذي التقى فيه أكثر من ٦٠٠ شاب مسلم جامعي، لتأدية فريضة الحج المصحوبة ببرنامج ثقافي إسلامي. وقد أكرمني المولى وأديت فريضة الحج معه، وكانت هذه الرحلة أولى رحلاتي أو أسفاري معه، التي تكررت فيما بعد كثيراً. لقد أتاحت لي هذه الرحلة المباركة أن أتلمس بعض أبرز صفات هذا الرجل، فقد نمنا في غرفة واحدة، وطفنا وسعينا يداً بيد، وأكلنا من طبق واحد. لن أنسى هذه الرحلة المباركة والحمد لله إذ تكررت رحلاتي معه إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

كان إيمانه بأهمية العمل العربي المشترك راسخاً، وبحكم إدارته لمكتب خليجي في هذا الإطار، كان يقترح على مساعديه رؤيته وطموحه لتحقيق هذه الغاية النبيلة. ولهذا نفذ المكتب بتوجيهاته سلسلة اجتماعات مسؤولي البحث العلمي لدول الخليج العربي، التي هدفت إلى تعاون دول الخليج في مجال البحث العلمي وتنسيق جهوده تفادياً للتكرار وهدر المال والوقت، مادامت طبيعة وبيئة هذه المنطقة واحدة، ولهذا يصبح التعاون والتنسيق فريضة أكثر منها واجباً. ولكي لا تكتسب هذه اللقاءات صفة نظيراتها، التي تنتهي دون فاعلية، فقد وجه بعمل دراسة مسحية شاملة عن التعليم العالي والبحث العلمي في دول الخليج العربي. وفعلاً فقد تم إعداد الدراسة وطباعتها عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م)، ولاقت هذه الدراسة استحساناً كبيراً غير متوقع، ونفذت الطبعة الأولى بسرعة كبيرة

وتوالـت الطلبات عليها مما حـدا بالدكتور الرشيد أن يوجه بتحديثهـا. وصدرت الطبعة الثانية في عام ١٩٨٦م باللغتين العربية والإنجليزية.

وأكثـر من هذا فقد خاطبت أكاديمية العالم الثالث للعلوم في إيطاليا (وكان يرأسها البروفسـور الباكستانـي الراحل عبد السلام حامـل جائزة نوبل فـي الفيزياء) الدكتور الرشيـد لنشر هذه الدراسة فـي أولى إصداراتها أو نشر ملخصـ عنها لأهميتها، وفعلاً فقـد كلفنـي الدكتور الرشيد بتلبية طلب الأكاديمية، ونُشِـرَ ملخص عنها في العدد الأول لنشرة الأكاديمية الصادرة في شهر يونيو ١٩٨٥م.

لقـد كانت اجتماعات مسؤولى البحث العلمي لدول الخليج ناجحة، ونجم عنها تعاون وتنسيق حقيقي لا يتسع المجال لاستعراضه.

وتعزيـزاً لهذا التوجه فـي التعاون والتنسيـق بين دول المنطقة الـذي يعيره الرشيد أولويـة خاصة، فقد وجـه ببرنامج يقوم من خلاله مسؤولو البحث العلمي في دول الخليج العربـي بزيارات علمية إلى دول أوروبية وإلى الولايات المتحدة الأمريكية. وفعلاً فقد تم التنسيق في أول زيارة مع الحكومة الفرنسية، وترأس الدكتور الرشيد الوفد وكانت زيارة ناجحـة توثقت من خلالهـا علاقات الإخـوة الخليجيين المسؤولين عـن البحث العلمي، حيـث استمرت هـذه الزيارة قرابة أسبوع، وتمخض عنها تنسيـق وتعاون بين المسؤولين ثنائـي الجانب أو أكثر. ولا يغيب عن القارئ أن مثل هذه الرحلات الطويلة العلمية تسهم فـي عقـد علاقات مفيدة جداً، وهـذا ماكان يرمي إليـه د. الرشيد مـن توجيهاته بتبني مثل هذه البرامج. وقد تكرر البرنامج بزيارةٍ للولايات المتحدة الأمريكية لمدة أسبوعين أيضاً، توثقت فيها أواصر العلاقة أكثر فأكثر والحمد الله.

استعرضـ هـذه البرامج المتعلقـة بالعمل الخليجـي المشترك لأُسلـط الضوء على الجانب العروبي وإيمان الرشيد الراسخ بضرورة تبنيه واستثمار مخرجاته لفائدة الأمة.

إن هـذه الانطباعـات عن الدكتور محمد الرشيد ليست نتـاج علاقة عابرة، أو وليدة مواقـف محددة لسنوات معدودة، وإنما هـي استقراءات علاقة إنسانية امتدت على مدى

ثلاثة عقود من الزمن، تجردت عن المصالح الدنيوية، وتسامت عن المنافع المادية، خبرته فيها ساعات العمل وإرهاصاته، وأيام السفر ومكاشفاته، فكما يقال: في الأسفار تعرف حقيقة الرجال. فقد أشرتُ عن أسفارنا معاً ولا أبالغ إن قلت: إنني كنت أكتشف في كل رحلة مزية جديدة في هذا الأخ الذي اعتز به وبصداقته. وسأستعيد بعض الذكريات عن واحدة من هذه الرحلات التي صحبته فيها إلى باريس.

ففي إحدى رحلات العمل لتوقيع اتفاقية تعاون بين مكتب التربية العربي لدول الخليج ومنظمة اليونسكو، (وللأمانة فإن مثل هذه الاتفاقية ما كان لها أن تتم لولا توفيق الله ثم جهوده الشخصية، وتقدير الآخرين في المنظمات الدولية لهذا الرجل، وقد أشرت لمثل هذه العلاقات وكيف كان يجيد استثمارها لصالح أهداف وغايات المكتب)، وكان ذلك خلال المدة التي شنت فيها إدارة الرئيس الأمريكي رونالد ريجان حملتها المشهورة والموسعة ضد المنظمة العالمية، واتهمت مديرها العام السيد أحمد مختار أمبو المسلم السنغالي بسوء الإدارة وفشل المنظمة، وقررت الانسحاب من المنظمة. بل أكثر من ذلك طلبت مساندة بريطانيا لهذه الحملة لتلحق بها. وكانت حقبة عصيبة على المنظمة، وكأن زلزالاً حلّ بها. أدرك الدكتور الرشيد حجم المأزق وثقله على المدير العام أحمد أمبو، فارتجل كلمة خلال الاجتماع الموسع بين الجانب العربي وأعضاء المنظمة، فقال في كلمته: إنه أتيح له أن يزور مؤخراً إحدى المدارس الابتدائية في منطقة نائية جداً في المملكة الواسعة الأطراف، وفوجئ (أي الدكتور الرشيد) بأن يوجه إليه أحد التلاميذ سؤالاً يقول: يا دكتور ماهي اليونسكو؟

ويستطرد الرشيد في كلمته موجهاً الحديث للسيد أمبو: يا معالي المدير العام أرادوا أن يحاربوا منظمتنا العالمية، فشاع اسمها وصيتها بفعل الحملة الهوجاء، حتى شدت انتباه أبناء القرى النائية في المملكة، فرب ضارة نافعة، وأجزم لك أن هذه الحملة قد سلطت الأضواء على اليونسكو في العالم كله، فهنيئاً لك بهذا الانتشار لاسم اليونسكو، الذي وصل الأطفال والصغار.

دون شـك كان للكلمة وقع كبير أمام الحضور، وصفقوا طويلاً تحية للرشيد على هذه المعانـي التي كانت موضـع إعجاب وتقدير المنظمـة، وأسهمت في عقـد اتفاقية تعاون كبيرة تم بموجبها تنفيذ مجموعة من البرامج العلمية في منطقة الخليج العربي، ما كان لهـا أن تتم بمجملها لولا فضل الله ثم براعـة الرشيد وفطنته وكيف أدرك أن واجب دول العالـم الثالث: أن تشد من أزر المنظمـة، وترفع من معنوياتها الهابطة بفعل آلة الإعلام الأمريكي ومن ورائها إسرائيل، التي تحركها لأغراض سياسية انتقامية، كما تبين لاحقاً.

فبعد هذا اللقاء وما ترك من أثر في نفس السيد أحمد مختار أمبو طلب من الدكتور محمد الرشيد اجتماعاً خاصاً ثنائياً، لا يشارك فيه أحد لسرية الموضوع الذي سيتناوله هـذا الاجتمـاع. غيـر أن الدكتـور الرشيد طلب مـن المدير العـام لليونسكـو أن يحضر الاجتماع أحد مساعديه ممن يثق بهم للترجمة بينهما، حيث إن المدير العام لليونسكو لا يفضـل التحدث إلا باللغة الفرنسية، والدكتور الرشيـد يريد أن يتحدث بالعربية. وهكذا وافق السيد أمبو على حضوري هذا الاجتماع للترجمة بينهما.

كان موضـوع الاجتماع: الأسباب التي تقف خلف حملة الولايـات المتحدة وبريطانيا علـى المنظمة، وكيـف أن أسبابها تعود إلى موقف اليونسكو مـن التعديات التي تقوم بها إسرائيل في القدس، فيما يتعلق بالاستيلاء على الوقف الإسلامي وعلى الأماكن المقدسة فـي القدس الشريف. وحين اتخذت اليونسكو موقفاً صارمـاً من هذه الإجراءات وأبلغت بها، حركت الآلة الصهيونية أذرعها في إدارة ريجان للضغط على اليونسكو.

وذكـر السيد أمبـو أن بعض المساعدين للرئيس الأمريكي قـد أدركوا هذه الحقيقة، ونقلـوا له استياءهم ومحاولتهـم أن يثنوا الرئيس الأمريكي عن قـرار الانسحاب، إلا أن قوى الضغط كانت أقوى في البيت الأبيض.

أمـا المشاريع العلميـة الأخرى التي كان لمحمـد الرشيد رؤيتـه الخاصة بتنفيذها، وحققت نجاحاً تعدى حدود المنطقة وأصابت اعترافاً عالمياً (المؤتمر الأول للرياضيات في دول الخليج العربي)، الذي عقد في الرياض في شهر أكتوبر في عام ١٩٨٢م بالتعاون

مع جامعة الملك سعود. واعترف بصدق أن أسباب النجاح الكبير الذي حققه هذا المؤتمر يعـود الفضل فيه بعـد الله تعالى لمحمد الرشيد، فقد دعـم القائمين على هذا المؤتمر بـكل الإمكانات المطلوبة، ليكون عالمياً من حيث المستـوى والمتحدثين والحضور. على سبيل المثال: تجاوز في هذا المؤتمر عدد المتحدثين الرئيسين أكثر من عشرين عالماً، يعدون بـكل المقاييس العلمية نجوم العالم في مجـال الرياضيات، وفي مقدمتهم السيد مايـكل عطية الذي حظي المؤتمر بمشاركته، وكانت الرياض أول عاصمة عربية يزورها. ويعـد مايكل عطية فـي نظر الكثيرين من علماء الرياضيات أعظـم عالم رياضيات ليس في عصره لوحده بل في كافة العصور، والذين يتابعون مسيرته يعرفون أنه العالم الوحيد فـي كل حقول العلم الذي كرمته الجمعية العامة للأمم المتحدة. كما حضر هذا المؤتمر المتميز العالم الفرنسي ديودونيه (صاحب مجموعة بورباكي المعروفة في الرياضيات)، وساندرز ماك لـين الذي عمل مستشاراً للرئيس الأمريكي نيكسون وميتشيل الاسكتلندي، وليشنيروفيتـز الفرنسـي وبيكرت الألمانـي. وكل منهم يعد العالـم الأول للرياضيات في بـلاده. على هامش المؤتمر عقدت أول ندوة عالمية حول الرياضيات الحديثة في التعليم العام في المنطقة، وفي ذلك التاريخ كانت لاتزال مسألة غير محسومة علمياً في جدواها. وتختلف آراء العلماء حول تبنيها أو رفضها.

وقـد وجه الدكتـور محمد الرشيد بأهميـة استثمار هذا التجمـع العالمي للاستفادة مـن وجهات نظرهم عـن مستقبل الرياضيات الحديثة. وفعلاً فقد شارك في هذه الندوة أقطـاب الرياضيـات في العالـم، ممن وردت أسماؤهـم وأدلوا بآرائهم، وتـم توثيق هذه النـدوة ووضعـت تحت تصرف وزراء التربيـة والتعليم في دول الخليـج العربي. لقد كان التوجيه لعقد هذه الندوة فيه بُعد نظر خاص، إضافة إلى النجاح الكبير في عقد المؤتمر وطباعـة كتاب وقائعه الذي وزع عالمياً وحـرره باقتدار الأستاذ الدكتور يوسف الخميس، وجمـع بيـن طياته بحوثاً نـدر أن تجتمع في كتـاب واحد، نظراً لصعوبـة التقاء مثل هذا الجمـع من العلماء ومن هـذا المستوى في مناسبة واحدة، فلم يحـدث قبل هذا المؤتمر أن التقـى جميعهم معاً، لأن كل واحد منهـم نجم ساطع في سماء الرياضيات، ويكفي أي

مؤتمـر فخراً أن يستضيف أحدهم منفـرداً، كي يعد مؤتمراً ناجحاً. فكيف إذا احتضنت الرياض هؤلاء جميعاً في قاعة واحدة؟!

لقد عبر المشاركون جميعاً في استبانة وزعت عليهم على أن هذا المؤتمر من أنجح المؤتمرات التي شاركوا فيها خلال مسيرتهم العلمية.

أتذكـر هنا كيـف كان يتدخل محمد الرشيـد، فيتحدث مباشرة مـع سفراء المملكة هاتفيـاً، لتسهيـل حضـور العلماء وإشعارهـم بالتكريم قبـل أن يطأوا سفـارات المملكة فـي عواصم بلادهم. وأستـدل بحادثة واحدة حين خاطب محمـد الرشيد معالي الشيخ جميـل الحجيلان، وكان يومها سفيراً للمملكة في باريس، لتيسير حضور العالم الفرنسي المشهور (جاك سير) من الأكاديمية الفرنسية وكوليج دوفرانس. حيث كانت شهرة هذا العالـم الفرنسـي تملأ الأطباق بعد أن حصل هذا العالـم الكبير ومايكل عطية على أرفع تكريـم علمـي يمنح لعلماء الرياضيات هـو (ميدالية فيلد)، وهي تعـادل جائزة نوبل في العلـوم نظراً لأن جائزة نوبل لا تمنح في علم الرياضيات، ولهذا أنشئت «فيلد» التي تمنح مرة واحدة كل أربع سنوات لأفضل عالم رياضيات في العالم.

حين وجه الدكتور محمد الرشيد بإنشاء مجلة للبحوث العلمية، شكل لها هيئة تحرير علميـة بطابع خليجي، تضم أساتذة مرموقين من خـلال مسيرتهم العلمية المتميزة في غـزارة ومستوى نشرهـم العلمي على المستـوى العالمي. وقد كانت رؤيتـه البعيدة لهذه المجلـة أن تكـون وعاءً وموردا للبحـوث العلمية المتعلقة بمنطقـة الخليج العربي، بحيث تكون مرجعـاً معلوماتياً عن المنطقة يقصد بحوثها العلميون من كل أقطار العالم الذين تنقصهم معطيات ومعارف عن هذه المنطقة التي ابتدأت تستأثر باهتمام العالم بعد أن أصبح للنفط دوره المحوري في اقتصاد دول العالم.

أذكر في ترأسه للاجتماع الأول لهيئة تحرير (مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية) كيـف استعرض تطلعاته حول مستوى المجلـة، وكم يتمنى أن تكون في مصاف المجلات العالمية باللغة العربية، وتوثق بحوثها قواعد المعلومات العلمية العالمية، واستدرك مشيراً

إلـى معرفتـه باستحالة تحقيق ذلك لاستبعـاد البحوث باللغة العربية عـن توثيق (معهد المعلومـات العلميـة)، الذي يقبـل البحوث الكاملـة المنشورة بالإنجليزيـة دون غيرها، وقـال: لا بأس أن نسعى لكي يكون لكل بحـث ملخص وافٍ باللغة العربيـة، فهذا أضعف الإيمـان. كما وجه بـأن تكافئ المجلة البحوث المنشورة بالكامـل باللغة العربية تشجيعاً لأصحابهـا ولزيادة رصيـد اللغة العربية من حصة البحث العلمـي العالمي. تذكرت هذا الموقـف للدكتور محمد الرشيد خلال قراءاتي لمقالاتـه السابقة حول التعليم بغير اللغة العربية فـي مناهج المدارس الخاصة ومعارضته الشديدة لهذا التوجه من خلال سلسلة المقالات التي نشرتها صحيفة الرياض.

عملـت هيئـة تحرير المجلة لتحقيق تطلعـات المدير العام وفي مـدة قياسية وجيزة تمكنـت مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية من أن تنتزع بجدارة من معهد المعلومات العلمية Institute of Scientific Information (ISI) إدراج المجلة في توثيقها العالمي، وكانت في ذلك الحين أول مجلة علمية عربية تحظى بهذا التميز. علماً بأن عدد المجلات العلميـة الصادرة في البلاد العربيـة التي حظيت بهذا التقدير وبعـد مرور أكثر من ربع قرن لا تزال أقل من أصابع اليد الواحدة.

د. محمـد الرشيـد كان دؤوب الحرص على ألا تتوقـف مسيرة تطويـر مجلة علمية عربيـة، وكان يعبر دائماً لهيئة تحرير المجلة خلال افتتاحـه لاجتماعاتها أن رؤيته لهذه المجلة أن تكون حاضنة تستولد مجموعة من المجلات المتخصصة في العلوم، وبخاصة التطبيقيـة منهـا، وأن تكون مدرسة لتخريـج مجلات كثيرة. وقد خطـا نحو تحقيق هذه الرؤيـة من خلال انقسامهـا وإصدارها في مجلتين إحداهما للعلـوم الفيزيائية، وأخرى للعلـوم الأحيائيـة. ولو طالت مدة إدارته لمكتب التربية العربـي لدول الخليج لحقق ذلك باقتدار.

لقـد حققـت المجلة التي كان له الفضـل الأول في إنجازاتها ما لـم تحققه أي مجلة علميـة عربية، فقد نشرت بحوثـاً لأساتذة عالميين. كما حرص علـى الاشتراك السنوي

فيهـا أكثر من ٢٠٠ جامعة عالمية مشهورة بالإضافة إلـى حرص أفراد كثيرين على دفع الاشتراك لاقتنائها.

أذكـر هذه الفقرة الموجزة عن مجلة الخليج العربـي للبحوث العلمية فقط لأعترف بأننـا مقصـرون في مضمار النشر العلمـي العالمي، مما يجعل حصـة العالم الإسلامي برمتـه فـي النشـر العلمي أقل مـن حصـة إسرائيل منفردة مـع الأسف. وحيـن يناقش المسؤولـون هـذه الظاهرة يرمون بالأسباب على السدود المانعـة التي ينصبها الغير في وجوهنـا دون اعتراف صريح منا بالتقصير. فهنـاك ٤٧ مجلة علمية تصدر في المملكة العربيـة السعودية لا تحظى أي منها باعتراف معهـد المعلومات العلمية، ومن ثم فإن ما ينشر منها من بحوث لا تحسب ولا تصب في حصة المملكة من النشر العلمي. وينسحب هـذا على المجلات العلمية العربية وكثير من المجلات العلمية في دول العالم الإسلامي (حصتـه ١٪ من الحصة العالمية)، والسبب دون موارية أول تضليل هو قصور القائمين علـى هذه المجلات لكي ترتقي لمستوى العالميـة، ومن ثم تستبعد عن إحصاءات النشر العلمي العالمي. فلماذا نجحت مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية وحقق محمد الرشيد رؤيته، في حين أخفقت نظيراتها العربيات؟؟

في عام ١٩٨٤م تعاقدت جامعة الملك فهد للبترول والمعادن مع الأستاذ الدكتور محمد زهيـر ناشد. وكان يرأس في تلك الحقبة تحرير عـدة مجلات علمية في الرياضيات، حيث كان رئيسـاً لقسـم الرياضيات في جامعـة (ديلاوير) في الولايات المتحـدة الأمريكية قبل استقدامه للمملكة. وبعد أن عرفنا بوجوده في الظهران اقترحت على الدكتور محمد الرشيد أن ندعـوه للرياض لإلقاء محاضـرة في جامعة الملك سعود، ومن ثـم يقوم بزيارة المكتب ونطلعـه على جهود المكتب في إصدار مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية، ونطلب منه أن يفيدنـا نظـراً لخبراته العالمية ورئاسة تحريره لمجلات عالميـة عدة. وفعلاً شجع الدكتور الرشيـد المقترح وحضر الأستاذ الزائر وشرحنا له آلية العمل بالتفصيل الكامل، ثم طلبنا منـه توجيهـاً لتطوير عملنا في المجلـة في نهاية برنامج الزيارة. وخـلال مقابلة مدير عام المكتب محمد الرشيد. قال له: كنت أظن أن هذا المبنى بكامله لمجلة الخليج إلى أن أدركت

أن المكتب يقوم على تنفيذ مئات المشاريع العلمية والتربوية والثقافية التي لا تمثل المجلة إلا واحداً منها. ما تقومون به في المجلة يستحق أن نأخذ منه فبارك الله في جهودكم.

استعدت ذكرى هذه الحادثة كشاهد لما حققته مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية منذ ربع قرن تقريباً.

كانت توجيهات الدكتور الرشيد في أن تكرس جهود المكتب العلمية على التقنيات الحديثة في العالم، التي تعد جديدة على المنطقة، وألا تكون الجهود تكراراً لأوجه نشاط سابقة قامت بها المؤسسات العلمية في الخليج العربي. ومن هذا التوجه تم التخطيط لعقد المؤتمر العالمي الأول (للبيوتكنولوجيا والميكروبيولوجيا التطبيقية) في منطقة الخليج العربي بالرياض في نوفمبر ١٩٨٤م.

وقد كان هذا الحدث العلمي عالمياً بامتياز من حيث الإعلان عنه ومستوى المحاضرين فيه، نظراً لحداثة هذا العلم وقلة المؤتمرات النظيرة السابقة التي عقدت قبله. ولكي نفهم بُعد الرؤية في التوجيه بعقد مثل هذا المؤتمر وفي وقت مبكر وفي دولة من الدول النامية، نشير إلى أن تعريف هذا العلم لم يقر من الهيئات والمؤسسات العلمية إلا في عام ١٩٨٢م، أي قبل عقده بسنتين فقط، ولهذا ندرت المؤتمرات في هذا العلم قبل انعقاد مؤتمر الرياض.

وكان كثير من المتخصصين يتساءلون عن طبيعة هذا المؤتمر وتطبيقاته وأهميته بالنسبة للمنطقة وللمملكة بشكل خاص، واليوم وبعد مضي أكثر من عشرين عاماً على انعقاده، لم يعد يغيب على أحد طبيعة هذا العلم وتطبيقاته والإجماع العالمي على الاهتمام والتركيز عليه، حتى إن الخطة الوطنية للعلوم والتقنية والابتكار في المملكة العربية السعودية قد أدرجت هذه التقنية من ضمن تقنياتها الإستراتيجية الإحدى عشرة، وجعلت موقعها ضمن ترتيب أهمية هذه التقنيات في المرتبة الخامسة بعد المياه، والنفط والغاز، والبتر وكيمائيات، وتقنية النانو. وهذا ما يؤكد صواب وعمق وبُعد رؤية الدكتور محمد الرشيد، وتميز قدراته الإدارية والتخطيطية.

وكمـا هو الحال فـي مؤتمر الرياضيات، فقد نجح هذا المؤتمـر في أن يجمع معاً في قاعة الملـك فيصل للمؤتمرات في الإنتركونتنتال أساطين هـذا العلم الوليد في حينه، قدمـوا من اليابان والولايات المتحـدة وكندا وفرنسا وألمانيـا وبريطانيا والهند وممثلي المنظمات الدولية العلمية. ويقيناً لم يجتمع معاً في مؤتمر واحد هذا الحشد من أقطاب العلـم قبل ذلك على الإطـلاق. ولكن هذا الحدث أمكن تحقيقه فـي الرياض بفضل الله ثـم قدرات الدكتور محمد الرشيد الإدارية، ونـزوع رؤاه ومبادراته للانفراد والتميز دون أن يصيـب هذه الـرؤى وتلك المبادرات خلل أو فتور، عندمـا تسلك منحاها نحو التنفيذ والإنجاز.

كان الدكتـور محمـد الرشيـد يقف بنفسه علـى توفير كل أسباب النجـاح للمشاريع التي يتبناها، ويتولـى بنفسه إزالة العقبات وتخطي العثرات، التي تعترض تحقيق أي من مشاريعه العلمية مهما كانت طبيعتها، ليهيئ بذلك أسباب النجاح الباهر لها.

ولسـت في صدد سرد واسترجاع الذاكـرة لعشرات المشاريع، التي أنجزها على نحو مـا سبق الإشارة إليـه، ولكنني أُذكّر بندوات ومؤتمرات لن يغيـب عن شريحة المفكرين والعلماء استذكارها، نظراً لما كان لها من أثر بالغ على الفكر والثقافة في منطقة الخليج العربـي منـذ عقدين وأكثر من الزمـن. ومنها على سبيل المثـال لا الحصر: «التحديات الحضاريـة والغزو الثقافي فـي دول الخليج العربي». وقد حاضر فيهـا معظم المفكرين ومسؤولي الفكر والثقافة العرب.

ونـدوة: «مـاذا يريد التربويون مـن الإعلاميين؟» حيـث تقابل خلالها قـادة التربية وقادة الإعـلام أيضاً. وسلسلة مؤتمرات الاتجاهات الحديثة فـي تدريس المواد العلمية: الرياضيات – الفيزياء – الكيمياء – البيئة والإنسان.

ونـدوة: (جامعة الخليج العربي: «رؤية مستقبليـة») التي شارك فيها من العلماء من حملـة جائزة نوبـل والمفكريـن والفلاسفة والكتاب بصـورة ليس لها نظيـر، ولم تشهد المنطقة لقاءً علمياً على هذا النحو.

لقد أغنت تلك اللقاءات والمؤتمرات المكتبة العربية برصيد ثمين من الكتب والمراجع ضمن الدراسات والبحوث التي ألقيت من على منابرها وتعد بحق ذخراً علمياً وتوثيقاً فكرياً لا غنى للمختصين عنه.

أعود إلى المؤتمر العالمي للبيوتكنولوجيا والميكروبيولوجيا التطبيقية الذي عقد في الرياض فقد تمخض عنه مرجع علمي عالمي كمحصل طبيعي للنخبة من العلماء الذين شاركوا فيه ببحوثهم، وقد أقدمت على طلب نشر هذا المرجع دار النشر العالمية الأولى في الكتب التقنية وهي: Elsevier Applied Science Publishers في نيويورك ولندن، وتولت توزيعه عالمياً وبيعه، وحقق عائداً مادياً كبيراً للمكتب، إذ بيعت النسخة الواحدة منه بأكثر من مائة دولار في ذلك الوقت، ويعد واحداً من المراجع القليلة في هذا العلم حين نشر في عام ١٩٨٦م، ولا يخفى الاهتمام العالمي حالياً بهذا العلم.

تحتضن المنطقة بين وقت وآخر مؤتمرات علمية رفيعة، ويشارك فيها صفوة المختصين في المنطقة، ويدعى لها أبرز العلماء في العالم، غير أننا لا نشهد بعد أن تنتهي اللقاءات والمؤتمرات نتائج وآثاراً باقية بعد انقضائها، فيطوى سجل هذه اللقاءات وتندثر في طيات النسيان. غير أن الدكتور محمد الرشيد كان يتلمس هذا ويدرك قيمة استبقاء ثمرة هذه الجهود، فيوجه في استثمار عوائدها العلمية وتوثيق وقائعها حتى لا تنقطع فوائدها، وهذا ما فعله في مؤتمر الرياضيات ومؤتمر البيوتكنولوجيا. ولهذا وبعد أكثر من عشرين عاماً على هذا المؤتمر يكفيك أن تبحث في الإنترنت بأي من محركاته، وتذكر عنوان المؤتمر لتحصل على عدد كبير جداً من المصادر عن دور توزيع هذا المرجع لوقائع المؤتمر والمكتبات الجامعية العالمية التي يتوافر فيها، ومعلومات أخرى عنه. وكل هذه الشواهد للاستدلال على تميز في حسن استثمار المؤتمرات، التي عقدت حين كان محمد الرشيد مديراً لمكتب التربية العربي لدول الخليج. وهذا الاستثمار المفيد قليلاً مانرى له نظيراً في اللقاءات الكثيرة التي تشهدها المنطقة.

لقد عقد أيضاً على هامش هذا المؤتمر العالمي طاولة مستديرة ضمت عدداً من علماء التقنية الحيوية المشاركين في المؤتمر، ورفعوا توصيتين: أولاهما: بضرورة أن

تتبنى إحدى الجامعات الخليجية برنامجاً للدراسات العليا في التقنية الحيوية. وقد دعم الدكتور محمد الرشيد هذه التوصية، واستطاع أن يتابعها إلى أن أقرت جامعة الخليج العربي في مناهجها برنامجاً لمنح شهادة الماجستير في التقنية الحيوية، وكانت بذلك أولى الجامعات في العالم العربي، التي تقدم برنامجاً للدراسات العليا في التقنية الحيوية، وواحدة من الجامعات القليلة أيضاً على مستوى العالم في ذلك الحين. وأعتقد أن هذا الإنجاز كان بحق سابقاً لعصره في المنطقة.

أما التوصية الثانية: فقد كانت استثماراً لحماس واهتمام المشاركين بمؤتمر البيوتكنولوجيا فتضمنت اقتراح إجراء ورشات عمل وبرامج تدريبية حول تطبيقات البيوتكنولوجيا، وربطها بالحاسب الآلي. وفعلاً تبنى الدكتور الرشيد تنفيذ هذه التوصية ووجه بتنفيذ مضمونها.

وتحقق ذلك من خلال عقد برنامج تدريبي يستفرد في تنفيذه معهد ماسا شوستس للتقنية في (كامبردج) بالولايات المتحدة الأمريكية (MIT)، ويكلف الالتحاق به مبلغاً يتجاوز في حينها أكثر من ٥٠٠٠ دولار أمريكي. فوجه الدكتور الرشيد باستقدام القائمين على البرنامج من MIT، والاتفاق معهم على تنفيذه في المنطقة، ليستفيد منه أكبر قدر ممكن من المختصين، ولتأهيل الكفاءات العلمية الخليجية في مجال البيوتكنولوجيا. وقد نفذ البرنامج فعلاً بالتعاون مع معهد الكويت للأبحاث العلمية، وحضره أكثر من عشرين متدرباً لمدة أسبوع، ووفر مكتب التربية نفقات مادية كبيرة لعقده في الكويت. وأذكر حينها أنه قد وجهنا بأن نحرص على أن يشارك في البرنامج العدد الأقصى المطلوب من أبناء المنطقة، وإذا تعثر ذلك ولم يكتمل النصاب فليكن ذلك باستكماله من المختصين من الدول العربية الأخرى تعميماً للفائدة.

هذه النماذج الثلاثة أستشهد بها كأمثله للبرامج التي وجه بها الدكتور الرشيد وحققت نجاحاً غير مسبوق في مجالاتها بفضل إدارته وتوجيهاته المتميزة باقتدار.

لا يتسع المقام لاستعراض الجنوح الدائم للتميز في التخطيط والتنفيذ لكافة المشاريع والأعمال، التي يتولاها الدكتور الرشيد، ويقوم بنفسه على متابعتها حتى تنفرد بنجاح فائق يتفق عليه الجميع.

وينسحب هذا التميز بالمؤتمرات العلمية والنشر العلمي أيضاً على برامج المكتب في ترجمة أو تأليف الكتب الفكرية، التي تفتقر لمادتها المكتبة العربية. حيث أثرت هذه البرامج المكتبة العربية بمجموعة من الكتب التي قدمها محمد الرشيد للقراء، في أثناء توليه منصب المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج وكان لها أثرٌ وفائدة ولاتزال مراجع يعتمد عليها المختصون، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر منها: مناهج المستشرقين – وسلسلة الكتب التربوية المترجمة، التي ذاع صيتها في كل أنحاء البلاد العربية، وفي مقدمتها:

- أمة في خطر.
- التربية في ألمانيا.
- التربية في الصين.
- التعليم العالي في جمهورية ألمانيا الاتحادية.
- الإنسان والطاقة.
- ودورية «رسالة الخليج العربي» التربوية المحكمة، التي لا تزال تصدر حتى اليوم.

إضافة إلى دعوته لكبار المفكرين والكتاب العرب للرياض للتعرف على فكرهم وإنجازاتهم، وأذكر على سبيل المثال المفكر الكبير زكي نجيب محمود، والدكتور أحمد كمال أبو المجد، الذي دُعي لإلقاء محاضرة عن الدين والتطرف عام ١٩٨٢م، ولا يخفى على أحد أهمية هذا الموضوع، وكيف استبقت المحاضرة قبل عقدين من الزمن المزلق الذي عانت منه الأمة بعد أن أصبح التطرف الديني ظاهرة خطيرة، لا تزال أمم كثيرة تعاني من نتائجها وويلاتها.

ولهـذا وبعد عقدين مـن الزمن على هذه المحاضرة التي طبعـت في حينها، تناولت أقلام المفكرين والكتاب هذه الظاهرة وألفوا فيها، وأذكر على سبيل المثال كتاب المفكر الدكتور راشد المبارك المعنون: (التطرف خبز عالمي) الذي صدر منذ عامين تقريباً.

لقـد حظيت التربية والثقافة الإسلاميـة والفكر عموماً بقدر كبير من المراجع المهمة بفضـل إدارة محمد الرشيد لمكتب التربيـة العربي لدول الخليج، والتي ما كان لها أن ترى النور لأسباب كثيرة قد لا تخفى على الكثير من العارفين، لولا أن تبناها المكتب وأصدرها.

لقـد تمكن محمد الرشيد أن يحول مكتب التربية العربي لدول الخليج في سنوات قليلة من مسمى مكتب إقليمي مؤطر المهام عند تأسيسه إلى واقع دولي كمنظمة خليجية للتربية والثقافـة والعلوم، حتى أطلـق عليها الكثير من الخبراء الأجانـب اليونسكو الخليجية. لقد حقق المكتـب حضوراً كبيراً في أهم التجمعات واللقـاءات العربية والدولية واختير مديره أيامهـا في مجلـس التربية العالمـي الذي يضم عدداً محـدوداً من المسؤوليـن التربويين العالمييـن. وما كان يمكن أن يتم ذلـك حقاً لولا شخصية الدكتور محمد الرشيد وحضوره العلمي العالمي في المنظمات التربوية فأتاح له باقتدار اعترافاً عالمياً استحقه عبر مكتب تربـوي صغيـر فتح من خلاله بوابة كبيـرة وأشاد جسوراً للتعاون الدولـي بين هذا المكتب والمؤسسـات العلمية والتربوية والفكرية المرموقة في العالم. ولا يتسع المجال لاستعراض الفوائد الكبيرة التي نالتها المنطقة من خلال العلاقات الدولية التي أشادها المكتب، وربما يكفـي استعراض قائمة المطبوعات الطويلة التي صدرت عنه آنذاك، ليدرك القارئ حجم ومقـدار العوائـد العلمية والتربوية التي استفـادت منها دول الخليج العربـي. وأستطيع أن أقول: إن إنجازات مكتب التربية خلال سنوات إدارة محمد الرشيد قد تجاوزت التصورات والمهام المنوطة به، التي رسمها المسؤولون الذين أوصوا بإنشاء هذا المكتب.

هـذا الإنجاز الإداري الذي حققه الرشيـد كان بحق جزءاً يسيراً من رصيد مسيرته المهنيـة، التـي بوأته على رأس الهرم التربوي فـي المملكة العربيـة السعودية بعد ذلك بسنوات.

لقد كانت طبيعة علاقة العمل بين الدكتور محمد الرشيد وأي واحد من مساعديه أو مرؤوسيه تتخذ شكلاً غير تقليدي، وتخرج عن النسق المعروف في العلاقات التراتبية المعهودة في محيط العمل، التي تتسم بها كافة العلاقات السائدة في بلادنا العربية عموماً.

فمحمد الرشيد يحرص على أن يجعل علاقات العمل أشبه ما يكون نسيجها لما نعهده في الروابط العائلية العربية. فالعلاقات التي عقدها خلال كل محطة من محطات مسيرته المهنية هي علاقات نشأت وبقيت، بل أكثر من ذلك تَرْسَخُ أواصرها وتنمو وشائجها بعد أن تفترق مواقع العمل، فتسمو بذلك عن دنس المصالح وريبة النوايا غير الخالصة. إن مصطلح العلاقات العابرة التي توجدها زمالة العمل ليست في قاموس مفردات الرشيد الإنسانية، فمنذ أن تعمل مع هذا الرجل يتولد لديك إحساس غامر بأنك اكتسبت صديقاً وفياً. ويترسخ لديك هذا الشعور، وتتلمس صدقه عندما تجابهك أولى مواجهات الحياة وما تتطلبه من وقفات الوفاء وشواهد الإخلاص والصدق لدى الأصدقاء.

إن هذا التوصيف لطبيعة علاقة الدكتور محمد الرشيد مع زملاء العمل أجمع عليه وأيقن به كل من عمل معه في محطة من محطات حياته الوظيفية، وقد تواتر إجماع كثير من الأشخاص على أن هذه السمة هي إحدى خصوصيات شخصية محمد الرشيد، وأكدوا على عفويتها وفطريتها، فهي تتسق مع صفات أخرى في شخصيته تعزز هذا الرأي. وقد كُتِبَتْ مقالات عدة في الصحف بعد أن ترك الرشيد آخر مناصبه هذه الصفة الكريمة، التي تميز بها وانفرد بها عن كثير من المسؤولين. وقد نشرت هذه المقالات بعد أن تقاعد الدكتور محمد الرشيد عن آخر مناصبه القيادية، مما يدلل على صدق نوايا الكتاب. وقد ورد في إحدى المقالات التي كتبت عن الدكتور الرشيد هذه الجوانب في شخصيته بأقلام نوّه فيها البعض بأنهم لا يعرفونه شخصياً، ولا يمت لهم بصلة معرفة أو صداقة.

في مقال تحت عنوان: (د. محمد الرشيد (الأنموذج)) بقلم د. موسى بن عيسى العويس بصحيفة الجزيرة اقتطع هذه الشهادة من سياق كلامه:

«لـم يجانـب الحقيقة من قال عنـه: كنا إذا فتشنا عن الصديـق وجدناه مختبئاً في قلبه، وعن المحسن الكريم وجدناه لائذاً في جيبه، وعن الرفيق الأنيس نشدناه في رحاب مجلسه، وعن المساعد الأمين ألفيناه في أركان وزارته».

ويقـول في فقـرة أخرى: «د. محمد الرشيـد شخصية تسامت ولم تمالـئ، وتعالت ولم تنحنِ، فاستحق بهذا التوثب، وذلك الطموح الذي لا يحده حدود أن يكون واحداً من أبرز رواد التجديد، والتغيير، والتطوير والانفتاح في تعليم هذه البلاد في القرن الحادي والعشرين».

وكتـب محمد بن حسن الصائغ مقـالاً نشرته الجزيرة بعد أن تقاعد الدكتور الرشيد مـن الوزارة يقـول: وجدنا الأخ الـودود، والصديق العطـوف، والوزير المحنـك والقائد التربـوي الملهـم، والمتابـع للعمل بكل دقـة، والمنضبط فـي دوامه، وذا الخلـق الرفيع والتعامل الإنساني الراقي. ثم يستطرد في فقرة أخرى، يقول فيها عنه: «مما يتسم به د. محمد الرشيـد خلقه الرفيع وتواضعه الجم، ورعاية مصالـح العاملين وتفقد أحوالهم. والحضور معهم في الأفراح والأتراح، فتراه حاضراً لمناسبة زواج أو نجاح، وتجده سباقاً للعـزاء والمواساة، يعرف معظم العاملين معه في الـوزارة، ولا يخاطبهم في المعاملات الرسمية إلا بأسمائهم، ويتجنب الألقاب، ويكتب: الأخ الكريم فلان بن فلان».

... ويختتـم قائـلاً: «إن أعداد الذيـن زاروا الرشيد في منزله بعـد انتهاء مدة عمله فاقت من زاروه يوم ولايته، وهذه عبرة، فالناس شهود الله في أرضه».

وأكـد هذه السجايا في الدكتور الرشيد الأستاذ الأديب عبد الله بن إدريس في مقال آخر نشرته جريدة الجزيرة أيضاً، يؤصل فيه هذه الانطباعات وعنوانه: (الإنسان: محمد أحمد الرشيد).

واقتطـع منه مـا يعزز ما أشـرت إليه عن طبيعـة علاقاته مع العامليـن معه فيقول: «محمـد أحمد الرشيد واحد مـن الصف المتميز في أجهزة الدولـة، يقود وزارة التربية والتعليـم بروح الأخوة كقاسم مشترك بينـه وبين زملائه مسؤولي الوزارة، بل هو يقودها بروح المناخ العائلي المتناغم». وينهي مقاله بما يلي:

«ليس الوفاء والنبل في الدكتور محمد أحمد الرشيد جديداً أو معروفاً داخل أسوار العمل فقط، فقد سمعت عن محمد أحمد الرشيد من زملائه في الدراسة ومن أصدقائه حالياً كثيراً من الحكايا عن أريحيته وعفويته وصدقه في التعامل مع الآخرين».

هذه المقتطفات أوردتها وأود أن أورد آخر ما قرأت في هذا السياق عن د. محمد الرشيد من المقالة التي كتبها عبد الرحمن السليمان، ونشرت في جريدة الجزيرة بتاريخ ١٤٢٩/١٢/٤هـ ذكر كاتبها: «أن الدكتور الرشيد لايعرف الكاتب شخصياً، كما لا يعرف الكاتب عن الرشيد إلا ما رصده من أعمال وماسمعه من أقوال، وكان محور مقاله التأكيد على الجانب الإنساني لعلاقة الرشيد مع الغير والاحتفاء به بعد أن ترك منصبه».

يقول صاحب المقال:

«حدثني أحد الأصدقاء ممن يترددون على بيت د. الرشيد في لقاءات بعد مغرب كل يوم سبت، قال: حينما كان وزيراً كان عدد الحضور على الأصابع.. ولا يزيد عن عشرة أو خمسة عشر، والله أعلم بنواياهم وراء حضورهم، أما اليوم فقد ضاق المجلس على اتساعه بالحضور».

ويستطرد: «كثروا.. تضاعفوا.. وكلهم حضور بلا دعوات سابقة، ولكنهم مدعوون من أنفسهم بدعوة الحب والوفاء وإخلاص الصداقة، وبراءة التعارف، واستمرارية العلاقة الأخوية القوية الرباط الخالية المقصد».

«قلت لصديقي هذا: أعرف أن الناس ينفضون عن المسؤولين إذا ما تركوا مناصبهم، لانقطاع النفع الشخصي عنهم، أو لانتهاء دوافع النفاق والمجاملة والتزلف لهم».

«قال: قلتُ لك يا أخي ما كل هذا الحشد الذي يأتيه مساء كل سبت من الأصحاب إلا دليل على تميزه بسمات هي جديرة بأن يلتف حولها الناس، ويتمسك بها الأصحاب».

«إنني أكتب هذه السطور عن الدكتور الرشيد بعد أن ترك الوزارة، ومثلي من يكتبون في مثل هذا الموقف هم أبرياء من شبهة النفاق للكبراء، ابتغاء استجلاب مصلحة خاصة أو دفع مفسدة».

وينهي مقاله المطول بقوله: «هذه إلماحة عجلى تحدثت بها النفس قبل أن يفيض بها القلم، أردت لها أن تكون كلمة شكر صغيرة لرجل كبير».

«اللهم اشهد أن هذه ترجمة لمشاعر صادقة وآراء شاهدة سوف تبقى حية..».

أنـا أعرف يقينـاً أن هذه الانطباعات لا يتمنى أن يسمعهـا أبو أحمد في حقه وينحني رأسـه تواضعـاً للّه تعالى لـو ذكرت عند مسامعـه، ولكن هذا الرجل بحـق يتمتع بصفات هـو فيهـا مدرسـة قائمة بذاتهـا بما يمثله مـن منهجها. إن هـذا الجانب مـن شخصيته وبخاصـة مـا يتعلق منه بعلاقاته الإنسانيـة من نبل العطاء وصدق الوفـاء وعفوية اللباقة والكياسة والحرص على تلبية الواجبات نحو الغير بإنسانية رفيعة، تقتصر على عدد قليل مـن الرجـال. وأحسب أن ما ذكرته في حقـه لا يخالفني الرأي فيه أحـد ممن عملوا معه واكتسبوا صداقته. وتأكيداً على صدق الوفاء عند محمد الرشيد فقد رافقته في ربيع عام ٢٠٠٨م خلال زيارة للولايات المتحدة الأمريكية. كان سبب الزيارة بالنسبة له زيارة وفاء. فقد زار فيها مريضاً عزيزاً عليه، وأستاذين من أساتذته خلال مرحلة الدكتوراه في ولاية أخـرى، وقد أدهشني مدى سعادتهم بلقائه وحبهم وعواطفهم نحوه واستيائهم من موقف حكومـة الولايات تجاه قضايا أمتنا حتـى إن أحدهم وقد تجاوز عمره ٨٥ سنة أطلعنا على مقال نشره يعبر فيه عن سخطه لسياسة حكومته، ويمتدح فيه شعب المملكة.

وأكد لنا ونحن نودعه أنه يشعر بالعار من مواقف حكومته، وطلب منا أن ننقل عنه أن الغالبية من أبناء أمته مستاؤون من موقف حكومتهم تجاه قضايانا. وغني عن التعبير أن طبيعـة العلاقة بين الرشيد وأساتذته التي تجاوز عمرهـا أربعين عاماً تشهد على صدق الوفـاء الذي أشرت إليه، كما أن معرفتهـم العميقة به دفعتهم لتقدير وحب الشعب الذي ينتمـي له محمد الرشيد. خلال هذه الزيـارة أيضاً تلقى د. محمد الرشيد تكريماً خاصاً من جامعة أوكلاهوما.

ولقـد تأثـرت وأنا أشهـد حفلة التكريم التـي ضمت مع الرشيـد أربعة خريجين من الجامعـة من غيـر الأمريكيين، الذين حققوا في مسيرتهم المهنيـة إنجازات تفتخر بها

جامعتهم، فقررت أن تقيم احتفالاً استمر لمدة يومين تكريماً لهم. هذا الحدث وجه من أوجـه الوفـاء الصادق أيضاً، إنه مـن جهة أكاديمية لم تنس خريجيهـا بعد أربعة عقود، فتابعـت مسيرتهم المهنية ثـم قررت أن تحتفي بهم، وتعلن اعتزازهـا بهم، كما تستفيد من خبراتهم العملية في لقاء كبير جمع بين المكرمين من قدامى الخريجين مع طلابها الحاليين، فأسدى كل منهم نصائحه التي صاغتها خبرة الحياة وحكمها المكتسبة.

لقـد كان الاحتفال مصدر اعتزاز وافتخار لأكثر مـن أربعين طالباً وطالبة، ينتسبون حالياً للجامعة من السعوديين في شتى التخصصات. اجتمع بهم الدكتور محمد الرشيد لمـدة ساعتين تقريباً، وحثهم على ألا تقتصـر إقامتهم على الدراسة فحسب، بل يضعوا نصب أعينهم التفوق الدراسي إلى جانب الحرص على العلاقات الإنسانية مع الأمريكيين وغيرهم من الطلاب بما يحافظ على سمعة المملكة ورفعتها.

حيـن انتهت مدة إدارة الدكتـور محمد الرشيد لمكتب التربيـة العربي لدول الخليج وجـه لزملائـه ممن كانوا يعملون معه رسائـل يودعهم فيها من اللقـاء اليومي على رأس العمل، ويعدهم فيها بالتواصل وتوثيق العلاقات في المستقبل.

وأختتـم هـذه الصفحات بالاستشهـاد ببعض ما ورد في رسالته لـي كشاهد على ما ذكرتـه في الصفحات الأولى أن هـذا الرجل يحمل صدق الوفاء في عفويته وفطرته التي جُبِل عليها يقول في خطابه:

«وإننـي لأشد على أيديكم مبـاركاً ومحيياً فيكم هذه الروح الوثابة، ومودعاً لكم وداع المؤمـل باللقاء، الحريص عليـه الساعي إليه، راجياً أن تتقبلوا كل تقديري وودي، مؤكداً لكم يا عزيزي وإن تفرقت بنا السبل فإن أخوتنا باقية وصداقتنا دائمة، وأعدكم أن أكون طرفاً إيجابياً فيها، داعياً لكم بالتوفيق والسداد».